

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ

فصول مختارة من السيرة النبوية

تأليف
أ.د. أحمد صالح الزهراني

١٤٤٤ هـ
٢٠٢٣ م

مؤسسة الأوراق الثقافية للنشر الإلكتروني

حقوق النسخ والنشاع بالكتاب بأي صورة إلكترونية أو ورقية أو أي وسيلة أخرى محفوظة لمنصة أوراق عربية ويحظر تداول المادة بأي شكل دون إذن من الناشر أو المؤلف



أوراق عربية



جميع الحقوق محفوظة

منصة أوراق عربية - www.aawraq.com

أحد مشاريع مؤسسة الأوراق الثقافية للنشر الإلكتروني.

ترخيص وزارة الإعلام رقم (١٤٩٨٣٧)

موقعها الجغرافي: جدة - المملكة العربية السعودية.

هاتف: (٥٤٤٥٠٢٤٨٣)

البريد الإلكتروني للمؤسسة والمنصة: info@aawraq.com

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمنصة (أوراق عربية)

حقوق النشر الخاصة بالكتاب محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع: ١٤٣٨/١١٩٨ ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٢-٢٩٥٦٦-٧

تنبيه:

الأراء المنشورة في الكتاب تعبر عن رأي المؤلف ومنصة (أوراق عربية) لا تتحمل أي مسؤولية أدبية أو قانونية مترتبة عليها.



السلام عليك
أيها النبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

عاشت البشرية قبل مجيء النبي ﷺ مرحلة فترة من الرّسل، وقد بُدّل دين الله قبل ذلك بزمن طويل فعُبدت الأوثان والأصنام وسيطرت الخرافة على العقول والأنفس، وسادت الأعراف والعادات الجاهلية التي كان يفاخر بها الإنسان أحيانا تحت مسميات خلقية، ولم يبق من الحنيفية وعلى الحنيفية إلا القليل، وأتباع الأديان كاليهود والنصارى غارقون في الوثنية حتى آذانهم واختلفوا مع المشركين في المعبود من دون الله واتفقوا معهم على أصل الشرك بالله ونسيان العهود الرسالية التي أخذها الله عليهم من حفظ الكتاب وتبيينه للناس، فبدلوا كتب الله وحرفوها ولم يبق على العهد الأول إلا نفر يسير في أقطار شتى.

كانت حالة الأرض أشبه ما يكون بمنطقة تراكتت عليها النفايات والخرابات أزمنة طويلة متتابعة حتى غطت على من تحتها ضوء الشمس بطبقات عديدة.. فالفساد ضارب بأطنابه في كل صعيد وبكل أجناسه وأنواعه. لقد كانت تلك الفترة السابقة للنبوّة المحمدية حقيقة بوصف الجاهلية كما سماها القرآن، جاهلية في كلّ شيء: جاهلية في الفكر وجاهلية في العبادة والتوحيد، وجاهلية في الاجتماع والاقتصاد والأخلاق والسلوك، أينما توجهت وجدت الظلم والشرك والخرافة والبغي والجهل.

كانت الأرض بحاجة إلى شيء غير اعتيادي.. بحاجة إلى هزة قوية.. بركان ثائر ينفض عن الأرض ركام الجهل والتخلف وتراكتات أجيال متتابعة من البعد عن الحق واستتبات الباطل الذي كانت جذوره عميقة جدا في حياة الناس أفرادا وجماعات.. حتى استحقوا ما جاء عنه ﷺ: «**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**»^(١).

(١) أخرجه مسلم (ح ٢٨٦٥).

ولهذا كان من الحقيقي جدا والجاد جدا البدء في النظر للبعثة المحمدية والسيرة النبوية قبل ذلك بكثير، إذ الناظر والمتأمل يجد أن التاريخ بدأ يتهيأ لهذا الحدث الكوني قبله بزمن طويل.. بل لا أبالغ إن قلت إن الله بعلمه الغيب وحكمته قد هيأ الأمر من أزمته سحيقة، فقد سُئل النبي ﷺ: متى كنت نبياً؟ فقال: «وآدم بين الروح والجسد»^(١).

وقال ﷺ في بيان واحد من أوجه هذا الاستعداد: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»^(٢)، إذن فحتى في تناسل الخلق منذ القدم كان المعيار النسبي مأخوذاً في الاعتبار تهيئةً لنبوة النبي ﷺ ووضعها في محضنها المناسب الذي يخدم أهدافها ويحقق مصالحها. كثيرون كتبوا سيرة النبي ﷺ وكتبوا عنها، لأنها سيرة حقيقة بأن تُكتب وتُسطر بمداد الذهب، ولكل منهم هدفه من الكتابة، بعضهم يؤرّخ وبعضهم يتفقه وبعضهم يعتبر وبعضهم يدافع وينافح.

وليس في الدنيا رحلة ألد ولا أمتع من السفر في حياة النبي ﷺ، وإن كانت رحلة وجدانية مركبها الكتاب وحاديها الخيال.

صدقا أقول: إننا بحاجة إلى قراءة السيرة قراءة استمتاع وتلذذ، لأننا سنرى ونجد ونلمس جوانب لم تكن تبدو لنا فيما قبل.

ولهذا نحتاج كذلك إلى تقديم السيرة في أكثر من قالب، ولو كانت قوالب مكررة، من حق كل شخص أن يسجل تجربته مع السيرة العطرة، فأنا على يقين أن كل من يقرأ السيرة سيجد فيها جوانب لم يرها في كتابات الآخرين، وستفيض عليه إشراقات لم يعهدها من قبل، لأن للسيرة مع كل إنسان سيرة أخرى.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/٥٩ و٣٧٩)، والبخاري في التاريخ الكبير (٧/٣٧٤)، والحاكم في المستدرک (٢/٦٠٨)، وغيرهم من طرق عن منصور بن سعد وإبراهيم بن طهمان عن بديل بن ميسرة العقيلي عن عبدالله بن شقيق عن ميسرة الفجر، عن النبي ﷺ، وفقه سنده اختلاف، والحديث قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي وقد روي من طريق آخر عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (ح ٣٦٠٩) وصححه ووافقه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) أخرجه مسلم (ح ٢٢٧٦).

ولهذا أحببت أن أقدم السيرة النبوية في عرض اخترته، وكثير من نصوصه من زاد المعاد لابن القيم والرحيق المختوم، فليس الشأن في أن آتي بجديد، إذ لا جديد في سيرته ﷺ، وإنما أردت أن أسجل رؤيتي وما أفدته من خلال قراءتي وتأملي فيها، وكذلك سوق الأحداث والفوائد منها بطريقتي الخاصة، ولا أزعج فيها تميزاً، وإنما هي محاولة للتنويع.

لابد كذلك من إثراء المعرفة حول النبي ﷺ كمعلومات لا يجوز بحال أن تخفى على أتباعه ومحبيه.

فمن العار أن لا يعرف المسلم أهم المعلومات عن أحب الخلق إلى الله وإلى الخلق ﷺ، حتى إني سألت بعض الناشئة عن اسم النبي ﷺ كاملاً فلم يجب؟ أما زوجاته وذريته وسنواته وأيامه فهذه أكثر تغييباً للأسف الشديد. سائلاً ربي تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه وأن يجعله سبباً في رضوانه ومرافقة نبيه في دار الكرامة.. قيل يا رسول الله: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال: «المرء مع من أحب»^(١) فاللهم إنا نشهدك أنا نحب ونحب من يحبه ونحب ما يحبه ونحب ما يقربنا إلى حبه فاحشرنا معه وتحت لوائه وارزقنا شفاعته آمين.

(١) أخرجه البخاري (ح ٦١٦٩) ومسلم (ح ٢٦٤٠).

المرحلة الأولى:
ما قبل المولد الشريف



الكون يستعد

قال ﷺ: «إني عبد الله وخاتم النبيين، وإن آدم مُنْجِدِلٌ فِي طِينَتِهِ»

الكون يستعد

يبدو من خلال النظر إلى تسلسل الأحداث التاريخية أن بعثة النبي ﷺ كانت حدثاً كونياً إضافةً إلى كونه مهمّةً دعوية، بمعنى أنه حدثٌ شارك في صياغته العامل الكوني المادي إضافةً إلى التقدير الشرعي.

فهو تقريباً يمثل القمّة الدرامية لأحداث التاريخ والوجود البشري على الأرض وغاية تفاعلاتها عبر قرون طويلة منذ بدء الصراع في السماء بين آدم وإبليس، ولهذا جاء عنه ﷺ قوله: «بعثت أنا والساعة كهاتين»^(١) فبعثته وأمته بالنسبة للوجود البشري على وجه الأرض خاتمة الرواية ونهايتها السعيدة للعنصر الصالح.

عامة أحداث هذه المرحلة تأخذ طابع التهيئة والتعبئة العامة لاستقبال الحدث وليس لهذه المرحلة أول يمكن تحديده، بل جاء في الكتاب والسنة ما يشير إلى بعض ملامح وأحداث هذه المرحلة، وأنه شيء توارثته الأزمنة زمناً بعد زمن.

أخذ ميثاق الأنبياء

وقد سُئل النبي ﷺ: متى كنت نبياً؟ فقال: «وآدم بين الروح والجسد»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (ح ٦٥٠٤) ومسلم (ح ٢٩٥١) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) سبق (ص ٦).

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَ آتَيْتُكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في الآية قال: «لم يُبعث نبي قط من لدن نوح إلا أخذ الله ميثاقه ليؤمننَّ بمحمد ولينصرنَّه إن خرج وهو حيّ وإلا أخذ على قومه أن يؤمنوا به وينصروه إن خرج وهم أحياء».

وقد قال بعض العلماء إن المقصود بالآية أن يصدق كل نبي من جاء بعده من الأنبياء.

وهذا لا ينافي أن يكون محمد ﷺ أخصَّ الناس بذلك، بل لو قيل إن الآية سبقت لأجله لكان متوجهاً، فلم يحك لنا القرآن أن موسى أخبر أمته عن عيسى أو غيره من الأنبياء، وكذلك عيسى، بل كل الأنبياء بشروا بمحمد ﷺ وذكروه لأمتهم، وهذا دليل على خصوصية معينة لمحمد ﷺ كونه خاتمهم وأعمهم رسالة، ولذلك فهو ﷺ الوحيد من الأنبياء الذي يجب على الكل أتباعه حتى الأنبياء كما قال ﷺ: «لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني»^(١).

وفي هذا التشريع العجيب وضع الرب تبارك وتعالى الرسالة المحمّديّة في عقد هي واسطته وإن جاءت آخره، إذ جعل الدّعوة الرساليّة شبيهة بالأمانة التي يلقيها شخص لآخر حتى تنتهي إلى المؤدّي الحقيقي، وهو هنا محمد ﷺ إذ هو الخاتم الذي لا نبي بعده وهذا يجعل الحجّة قائمة على كلّ البشر الذين يُبعث فيهم النبي ﷺ سواء منهم الأميين أو أهل الكتاب، فالأمة ليس لديه ما يمكن مقارنته بدين التوحيد، والكتابي مأخوذ عليه العهد باتباع النبي ﷺ.

وهذا ما جعل النبي ﷺ يشير إلى هذا الملحظ حين بعث معاذ إلى اليمن فكان أوّل ما أوصاه به أن يعلم حقيقة القوم الذين يقدم عليهم فقال: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب»^(٢)، وكأنّه ينبهه إلى ملاحظة حالهم حين دعوتهم وبيان الدين لهم.

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٣٨) وحسنه الشيخ الألباني في الإرواء.

(٢) أخرجه البخاري (ح ١٤٩٦) ومسلم (ح ١٩).

البشارات وإخبار الأمم بمبعثه

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وكل الأنبياء أخبروا أممهم بمبعثه ﷺ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ يَا رَبِّ ارْسُلْ إِلَيَّ مِنْ سَمَاءٍ مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ الَّتِي يُرْسِلُ فِيهَا الرُّسُلَ مِنْ قَبْلِي وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنَ السَّمَاءِ طَبَقًا مَائِدَةً كَمَا أَنْزَلْتَ مِنَ السَّمَاءِ طَبَقًا لَدَى إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَعَا إِلَى الْكُفْرِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

وقال رسول الله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى عليها السلام»^(١).

عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ قال: «أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للآمين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وأذاناً صماً، وقلوباً غلفاً»^(٢).

وهذه الأخبار التي كانت تنتشر في الأمم التي بُعث فيها أنبياء ورسول هي التي بقي منها شيء في أيدي الأخبار والرهبان سواء أولئك الذين انحرفوا عن الحنيفية وهم أكثر أو الذين بقوا على التوحيد، فكلهم كان لديه علم بمبعث النبي ﷺ وإن كانت مواقفهم مختلفة فمنهم من كان يضم اتباعه ومنهم من كان يتربص به الدوائر.

ومن ذلك قصة بحيرا الراهب، وهي قصة لا تثبت بسند صحيح لكن تناقلها أهل السير ولا يُستبعد أن لها أصلاً وإن كان الرواة قد زادوا فيها أشياء، قال ابن إسحاق: ثم إن أبا طالب خرج في ركب إلى الشام فلما تهيأ للرحيل صبَّ

(١) انظر السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني رحمه الله (ح ١٥٤٥ و ١٥٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح ٢١٢٥).

به رسول الله ﷺ - فيما يزعمون - فرَّق له أبو طالب، وقال: «و الله لأخرجن به معي و لا يفارقني و لا أفارقه أبداً»، أو كما قال، فخرج به معه، فلما نزل الرُّكْبُ بُصرى من أرض الشام وبها راهب يُقال له (بحيرا) في صومعة له، و كان انتهى إليه علم أهل النصرانية و لم يزل في تلك الصومعة و كانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم و لا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم الطعام كثيراً، و ذلك فيما يزعمون عن شيء رآه و هو في صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله ﷺ في الركب حين أقبلوا و غمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا فزولوا في ظل شجرة منه فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة، و تهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظلَّ تحتها، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته و قد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل إليهم: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، و أحب أن تحضروا كلكم صغيركم و كبيركم و عبيدكم و حرُّكم، فقال له رجل منهم: و الله يا بحيرا إن بك اليوم لشأناً، ما كنت تصنع هذا بنا و قد كنا نمر بك كثيراً ما شأنك اليوم؟ قال له بحيرا: صدقت، قد كان ما تقول، و لكنكم ضيف و قد أحبيت أن أكرمكم و أصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلَّكم، فاجتمعوا إليه و تحلَّف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف و يجد عنده فقال: يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي قالوا له: يا بحيرا ما تحلف عن طعامك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام و هو أحدث القوم سنّاً فتخلف في رحالهم، قال: لا تفعلوا: ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقال رجل من قريش: و اللات و العزى إن كان للؤمأ بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيتنا، ثم قام إليه فاحتضنه و أجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً و ينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم و تفرقوا قام إليه بحيرا فقال له: يا غلام! أسألك بحق اللات و العزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه - و إنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما - فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: لا تسألني باللات و العزى شيئاً فو الله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما، فقال له بحيرا: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله: من نومه و هيئته و أموره و يخبره رسول الله ﷺ، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه من صفته التي عنده، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني، قال: ما هو بابنك، و ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه

حيًا، قال فإنه ابن أخي قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات و أمّه حبلى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده و احذر عليه يهود فوالله لئن رأوه و عرفوا منه ما عرفتُ ليبيغنه شرًا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

فزعّموا أنّ نفرا من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ مثل ما رأى بحيرا في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب فأرادوه فردّهم عنه بحيرا في ذلك، و ذكرهم الله تعالى و ما يجدون في الكتاب من ذكره و صفاته، و أنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه حتى عرفوا ما قال لهم و صدقوه بما قال فتركوه و انصرفوا عنه^(١).



(١) وهي قصة مليحة لكن انتقدها الذهبي في تاريخ الإسلام.

النسب الشريف

قال ﷺ: « تجدون الناس، معادن، فخيرهم في الجاهلية خيارهم في

الإسلام»